

المعارضة عاجزة أم تخرق حاجز الجدار ؟

الحسين علي كرار

في المقال السابق كتبت بعنوان ما هي أسباب التحول في القرن الإفريقي ؟ وفي هذا المقال سأتناول وضع المعارضة من هذه التحولات ، فالعالم اليوم يتغير سريعا واختلطت فيه كثير من الأوراق ، وهو يتدخل ويبحث عن المنفعة المادية سياسيا واقتصاديا وأمنيا حسب مصالح الدول المتعددة بعيدا عن الإيديولوجيات ، وأصبحت البطالة هاجس الشعوب والدول ، فنري دول عظمي مثل الولايات المتحد تغلق أسواقها في وجه سلع الآخرين برفع الضرائب ، وتجبر مصانع أمريكية هربت بحثا عن العمالة الرخيصة بالعودة أو اتخاذ إجراءات اقتصادية ضدها ، ودول إقليمية قوية تريد أن تجعل من دول أخرى تابعة لها لتعزز وجودها وأسواقها وترعي أمنها ، ودول استعمارية تمنع الدخول أو الاقتراب من محمياتها السابقة ، ودول فقيرة تصارع الموت من الجوع والبطالة والتدخلات الخارجية في شئونها الداخلية ، وقد شملت التحولات حتى بين دول الحلف الواحد كالتناظر بين الولايات المتحدة والدول الغربية ، وتجد تدخل روسيا السافر عسكريا في الشرق الأوسط لحماية وجودها في البحر الأبيض المتوسط ولحماية الأقليات الأرثوذكسية ، والتنين الصيني الذي يعمل بصمت ويحقق الانتشار في العالم ، هدفه الأول الدخول في الأسواق ولو بالمعونات المجانية وخاصة في أفريقيا القارة البكر التي لم تستهلك هدفها أن تحقق شهرة الانتشار لمنتجاتها وهي أهم عوامل التوزيع ، كل ذلك يعني بداية التفكك في ثوابت العالم ، فقد انتهت ثنائية المعسكرات بانتهاء السوفيتي ، وانتهى عالم القطب الواحد بعجز الولايات المتحدة بمد نفوذها علي الجميع ، وتجد روسيا الاتحادية اليوم ليست روسيا السوفيتية الإيديولوجية ، بل هي دولة رأسمالية مسيحية يحكمها اليمين المتطرف مثلها مثل اليمين الأوروبي ، فبوتن لا يختلف في سياساته عن ترامب في التطرف ، وأصبحت المنطقة العربية مفتوحة أمامهم بفعل الربيع العربي الذي حولها إلي دمار وتتشكل حولها المحاور الجديدة ، وتصطف فيها الدول العظمي والإقليمية لحماية نفوذها ومصالحها لما لها من أهمية الموقع بممراتها المائية وما تملكه من مخزون النفط الضخم الذي أصبح عصب الحياة الصناعية.

وإذا عدنا إلى القرن الإفريقي نجد أنه بعد مجيء نظام منغستو عملت جميع الدول الغربية لإسقاطه لإعادة نفوذها الذي أخل به نظام منغستو ، فأسقطوه ، وسقط معه نظام سياد بري في الصومال ، هنا نجد اللاعبين تركوا الصومال في الوحل حتى يخضع ، وجاءوا بنظامي التجريدية في كل من ارتريا وأثيوبيا ، وبعد أن استنفدوهما وانتهت صلاحيتهما حسب الظروف والمصالح ، أوصلوا الأرمو إلى السلطة بقيادة أبي أحمد ، ونري ما يجري من تحولات في منطقة القرن الإفريقي.

لا بد هنا أن نقف وقفة طويلة ، ونقرأ أحداثا سبعينات وثمانينات القرن الماضي ، فالقراءة الخاطئة للأحداث أخرجت جبهة التحرير الارترية بمواقفها الإيديولوجية عن التغييرات التي كانت تجري ، فوجدت نفسها خارج معادلات التحولات التي حدثت في تلك الفترة ، عندما صنفها الغرب علي المعسكر الشرقي السوفيتي الأيل للسقوط ، فعمل في تصفيتهما حتى لا تقف عائق أمام مشاريعه ، فأضرت بقاعدتها التي كانت تقودها وفي أكثريتها كانت من المسلمين ،

وحتى اليوم يدفعون الثمن الغالي بذلك الخطأ الإستراتيجي، وقد قرأها في تلك الفترة تنظيم الجبهة الشعبية قراءة صحيحة وكسب الجولة ، ولكنه أصيب بالغرور وأفكاره الطائفية فلم يحافظ عليها فصب هذا الدمار الهائل الذي أفقد الدولة والشعب كل مراحل نضالهم التاريخي ، وأن في العالم لا توجد صداقات دائمة ولا عداوات دائمة ولكن المصالح هي فوق كل الاعتبارات بعيدا عن المسكنة واستدرار العواطف.

و كذلك هنا يجب أن نقف علي ظهور التيارات الإسلامية بعد انحسار المد الإيديولوجي للشيوعيين والقوميين العرب ، أيضا هذه التيارات الإسلامية أظهرت عدم الكفاءة والقدرة في الحكم والإدارة ، فتفرقت وساد قيادتها المتطرفون وتصدرهم داعش والقاعدة الذين أساءوا للإسلام وجعلوه يصنف من أعداء الإسلام ، كفكر إرهابي تكفيري بمخالفاتهم التي لا يقبلها الدين والعقل والإسلام برئ من أفكارهم ، فحصل الفراغ السياسي في العالم وفي الشرق الأوسط ، وبالتالي أصبحت الضرورة أن يتقدم الاقتصاد والأمن لحاجة الشعوب إليهما ، لتفانم ظاهرة الإرهاب والبطالة والهجرة غير الشرعية وتهريب البشر الذي سبب الكثير من الكوارث الإنسانية .

كل ذلك كان يعني الحاجة إلي قيام تحالفات جديدة قرأتها دول الخليج العربي وقرأتها أثيوبيا أبي أحمد ، قراءة المصالح ، كدول جوار لمنع مثل هذه التدخلات لرعاية الأمن ورعاية المصالح ، وقراءة النظام الارتري لها معروفة .

والسؤال هو ما هي قراءة المعارضة الارترية العريضة لهذه التحالفات الجديدة التي تنشأ في القرن الإفريقي؟ الحقيقة أن قراءتهم لها خاطئة بنسبة 100% حسب ما هو ظاهر ، وقد اختفي صوتهم سواء كان علي مستوي الفصائل أو علي مستوي الأحزاب ، والظاهر الذي أفرزته ردت الفعل ، هناك بعض الكوادر تلعب دور كوادر حزب العمل في سبعينات القرن الماضي بالشتائم والنفخ الكاذب البعيد عن مصالح الشعب الارتري ، فكوادر حزب العمل عندما وقع الفأس علي الرأس غادروا إلي الغرب ، وتركوا الشعب يكابد مرارات تبعات هزائمهم ، وأخلوا الساحة لتنظيم الشعبية الذي أعدم البشر والحجر ودمر الدولة التي يريد أن يعود بها جثمانا هامدا إلي الأم أثيوبيا التي سعد وفرح برويتها مرة ثانية ، بعد كل النضال والتضحيات والشهداء ، وما يفعله هؤلاء الذين يريدون أن يسحبوا مآسي الشعب الارتري إلي بحيرات السفن التي تغرق كما فعل أولئك الذين كانوا يتغنون بأناشيد وترانيم الرجعية العربية والإمبريالية الأمريكية التي أصبحو فيما بعد ينشدون ديمقراطيتها ، فهؤلاء الذين يضربون أنغام الشتائم بآل فلان وآل فلان الارتري ويضعون المعارضة في خانة التصنيفات الدولية غير المرغوبة ، ويخرجونها للمرة الثانية بهذا التصنيف خارج معادلة الترتيبات الإقليمية ، فعلي هؤلاء أن يرتفعوا إلي مستوي قضيتهم وإلي تحقيق مصالح شعبيهم بدل الغوغائية والمهاترات التي لا يستفيد منها شعبيهم ، كذلك البعض الذي يعتبر نفسه أنه يملك الحقائق فيخون هذا ويصنف الآخر بالعمالة من قيادات المعارضة ربما هؤلاء يجهلون أنهم بهذا يضعفون كل الحاديين المتحمسين علي العمل ، فيخوفوهم ويكسروهم ليتركوا كل ما يقومون به من نشاط خوفا علي تشويه سمعتهم ، هؤلاء ربما قد يكونوا مكلفين للقيام بمثل هذه الشائعات ، وقد يكونوا يجهلون تأثير ما يكتبونه من شائعات للرأي العام ، لهذا يجب أن لا يتأثر أحد من قيادات المعارضة بمثل هذه الأراجيف .

هنا نذكر كمثال فقط الشهيدان عثمان صالح سبي وياسر عرفات كانا يسيران فوق الأشواك الملتهبة بالصراعات في المنطقة العربية والمقسمة علي المعسكرين الشرقي والغربي ، فكانا أصدقاء لكل دول اليسار العربي ولكل دول اليمين العربي المحافظ حسب التصنيفات في ذلك الزمان ، لتحقيق مصالح شعبيهما ، وكانا مقبولين لدي كل الأطراف ، أنها الوسطية التي تراعي مصالحهم ومصالح الجميع باحترامهم مواقف الجميع ، اتقوا الله في حق شعبكم وادفنوا أحقادكم خارج أبواب المصالح الارتزية لأن بأقلامكم التي تقرأ سيقومون المعارضة وبها ستكسب الأعداء أو الأصدقاء في هذا العالم الذي يقوده الإعلام المفتوح ، لا تسحبوا المعارضة إلى قضايا لا يستفيد منها الشعب الارتزي إلا الوبال.

علي الفصائل الارتزية أن تخرج عن هذا الصمت الغريب والإحباط والانغلاق وتندق أبواب الجميع سواء بمستوي الحكومات والمنظمات والأفراد ، ولا يعقل أن لا تكون لهم علاقات وتأثيرات بالتنظيمات والأفراد في داخل أثيوبيا وغيرها من الدول العربية والإفريقية والغربية وأن يشرحوا وضع لا يحتاج إلى شرح ، فإنهم في أسوء الحال يجب أن لا يضعوا أنفسهم خارج هذه التكتلات بهذه السلبيية ، وأن يصنعوا لهم وجود مؤثر وأن تكون لهم صلة بحراك الداخل المؤثر الذي سيقود الأحداث ونشاهد الأجنحة التي بدأت تتشكل في الداخل وتعصف باركان النظام في قياداته العليا ، عليهم أن لا يستسلموا حسب مفهومهم أن الجميع أصبح ضدنا ، هذا التفسير هو الذي يفسر عجزهم ، ليس من الصحيح أن الكل داخل أثيوبيا ضدهم بل هناك تضارب مصالح بين الفئات المتصارعة ، هنا عليهم أن يتذكروا قصة ذلك القائد الذي كان يقود الجيوش الجرارة ولكنه أصيب بهزيمة كبيرة من أعدائه ، فتحطم نفسيا بالإحباط وهبطت معنوياته واستكان إلي قدره الأليم بالاستسلام ، وذات يوم وهو جالس رأي نملة صغيرة تسير فوق الجدار و كل ما حاولت الصعود سقطت ولم تستسلم وكررت ذلك أكثر من مرة حتى وصلت إلي محطتها الأخيرة بنجاح ، فتأثر من قوة إرادة هذه النملة الضعيفة التي تتحدى وتقاوم فما كان منه في صبيحة اليوم التالي إلا أن جمع قومه وعبئهم من جديد للقتال حتى انتصر ، فلا تئسوا ولا تقنطوا أضربوا كل الأبواب فالنصر سيكون حليفكم ، الدول والشعوب تبحث عن مصالحها وتعرف بأي عمل يتحقق ذلك ، لان الصداقات والعداوات مصدرها المصالح ، وهي لا تتحقق بالاستعطاف ولا بالشنائم ولكن بالعمل الدعوب المتوازن الذي يري فيه الجميع تحقيق مصالحه، وإلا ستجدون أنفسكم خارج الدائرة مرة أخرى والأحداث ليست وفقا عليكم .